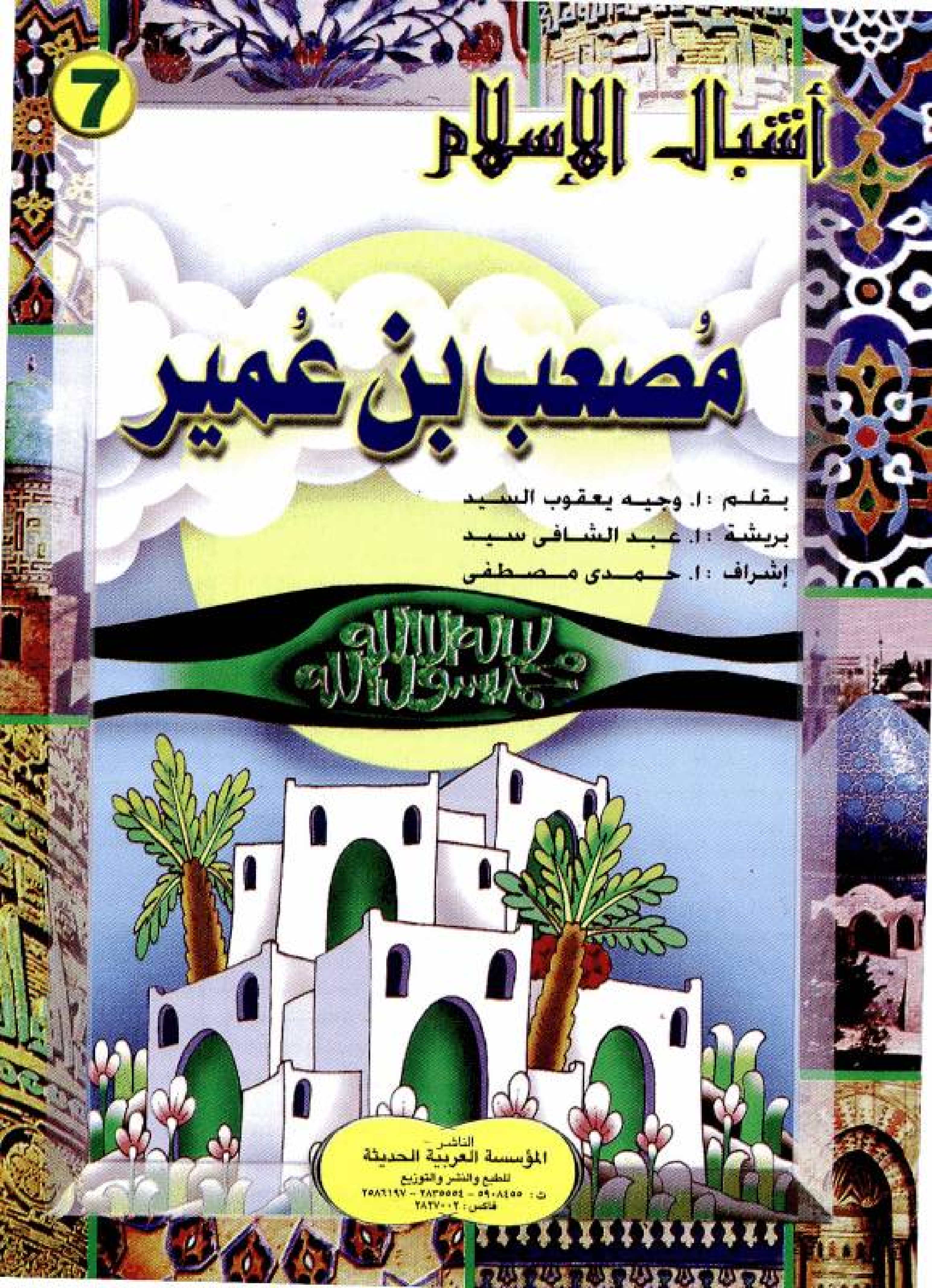

7
أشبال الإسلام
مُصعب بن عُمير
بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
لا إله إلا الله محمد رسول الله
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

أشبال الإسلام

« الطفولة » مرحلة مهمة للغاية . وهى ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الانسان فى شبابه وفى رجولته .

وفى هذه السلسلة تطالع :

صورا مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند « أبطال صغار » ، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم ، فكان من بينهم : العالم ، والمحارب الشجاع ، وقائد الجيش .

إن « الطفل الصغير » يستطيع أن يعرف دوره فى الحياة ، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة ، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه .

وسوف يجد الطفل المتعة فى أثناء قراءة هذه السلسلة التى كُتبت بأسلوب قصصى مشوق ولغة أدبية شفافة .

وجيه يعقوب السيد
مدرس مساعد بكلية الألسن
جامعة عين شمس



بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٤٧٠٠٢

قِصَةُ حياة هذا الْبطَلِ تُشْبه النَّسَمةَ الصَّافية التى تُلطِّفُ الْحياة .

تَسْعَدُ الْعيْنُ حين ترى جَمالَهُ الأَخّاذَ . وحديثه الْعَذْبَ يجْذِبُ إليه الأسْماعَ .

مُنْذُ طُفُولته الْباكِرَة ، وأَهْلُ مكّةَ يضْربونَ به الْمثَلَ فى وَسامة الْوَجْه ، ورَجَاحة الْعَقْل ، ويتمنَّوْنَ أن يصير أَبْناؤُهُمْ مثْلَهُ .

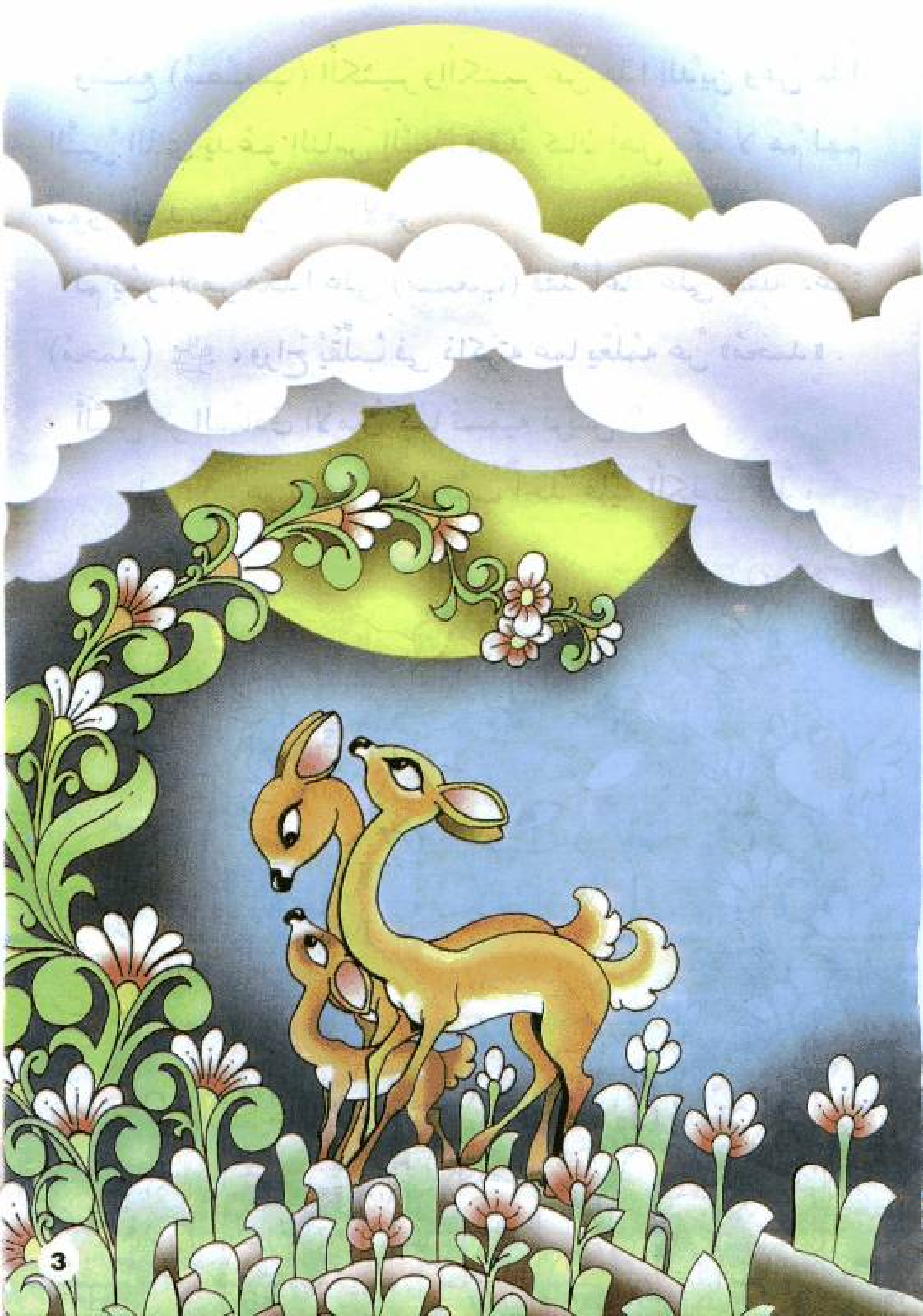
إنَّه (مُصْعَبُ بن عُمَيْر) . . فتى مكّةَ الْوَسيمُ الْمُرَفَّهُ ، الذى يدَلِّله أَبواهُ ويُلَبِّيان له كلَّ حاجاته .

كان أَهلُ مكّةَ يعْرفونه مِنْ رائِحَة الْعُطور الَّتى يتعطَّرُ بها ، فقدْ كانت رائِحتُها تَسْبِقُهُ ويَفوحُ أَريجُهَا .

وعلى الرَّغْم منْ هذه الْحياة الرَّغْدَة الْمُتْرفة ، فقد كانَ «مُصْعَب» يتطَلَّعُ إلى حُضُور مجالس الرِّجال كىْ يتعلَّمَ من تَجارِبهمْ وخبْراتِهم ، ولمْ يكنْ كسَائِرِ الأَطفال لاتشْغَلُهم إلا تَوافِهُ الأُمُورِ .

وفِى هذه الْمجالس ، تأكَّد للْجميع رَجَاحَةُ عَقْلِ (مُصْعَب) وإِصَابَتُهُ للرَّأْى ، فقد كان يَزِنُ الأُمورَ بميزان دَقيق ، ولذلك كانَ الْكِبارُ يُحبُّون مُجالَسَتَهُ والاسْتماعَ إلى أَحاديثه برَغْم حَداثة سنِّه .

وفِى تلك الْمجالِس ، اسْتَمَعَ (مُصْعَب) كما اسْتَمعَ غَيْرُه ـ إلى ظُهورِ دينٍ جَديد يدْعُو النَّاسَ إلى عِبادة اللَّه وحْدَهُ وعدَمِ الإِشْراكِ بِه .

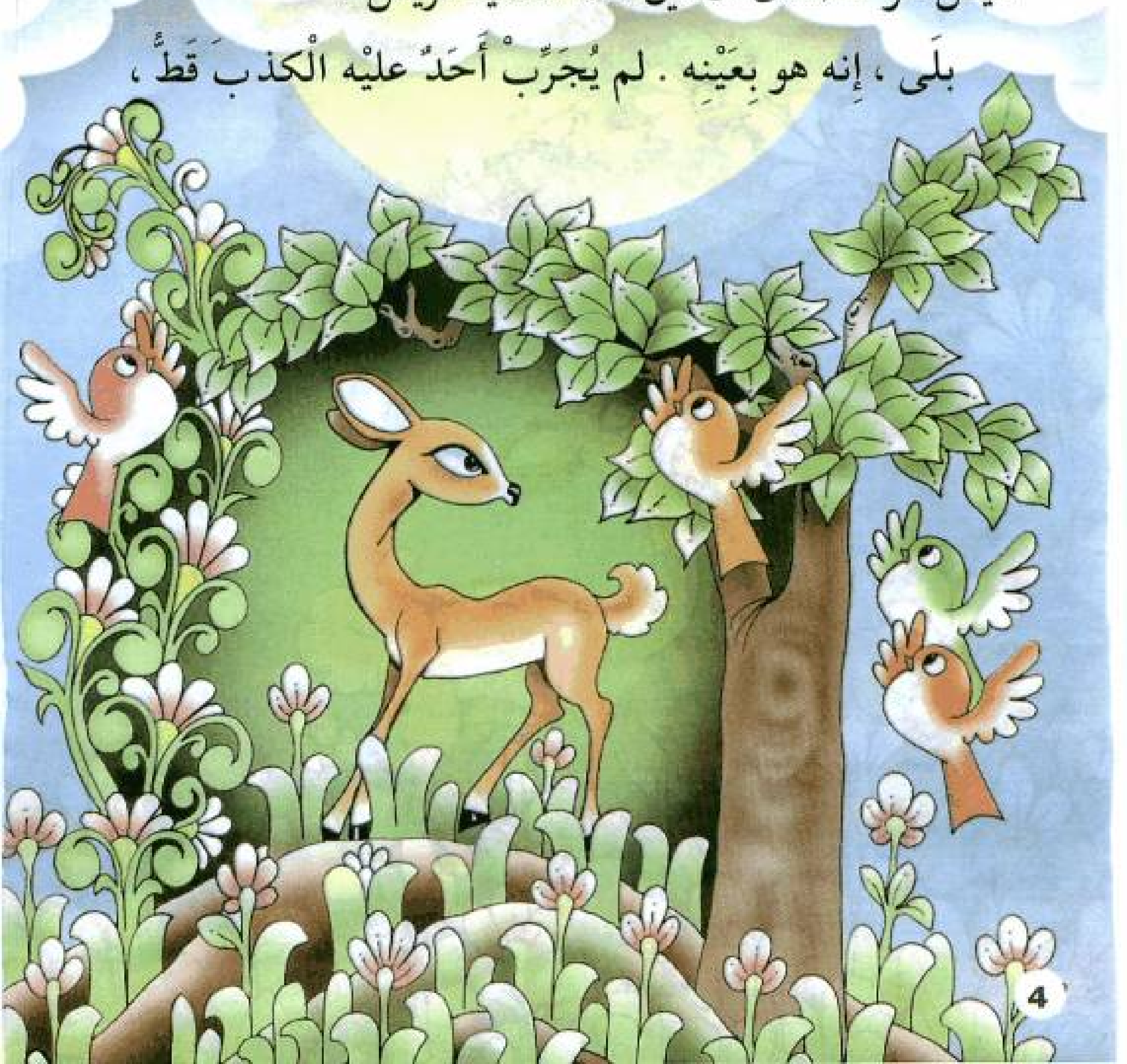


وسَمِع (مُصْعَب) الْكثيرَ والْكثيرَ عنْ هذا الدِّين وعَنْ هذا النَّبيِّ الذى يْدعُو الناسَ إلَيْه ، فقدْ كانَ أهلُ مكَّةَ لا هَمَّ لهمْ سوى الْحديثِ عنْ هذا الأَمْر .

لمْ يَمُرّ الأَمْرُ هكذا على (مُصْعَب) فقدْ أَعادَ على عَقْلِه دعْوَةَ (مُحمد) ﷺ ، وراحَ يُقَلِّبُ فى ذاكِرَتِه عما يعْلَمُه عنْ «مُحَمد» .

أَلَيْسَ هو الصَّادقُ الأَمينُ كما تُسمِّيه قُرَيْش ؟

بلَى ، إنَّه هو بِعَيْنِه . لم يُجَرِّبْ أَحَدٌ عليْه الْكذبَ قَطُّ ،





وهو أَعْـقَلُ مَنْ عـرفَـتْـه بلادُ الْعَـرَبِ ، فلَمْ يعْـرِفْ أحـدٌ عنْه أىَّ انْحِرافٍ .

وسأل (مُصْعَب) نفسه :

ـ لماذَا لا أَلْتقى (مُحَمدًا) ، وأَسْمَعُ ما يقولُ ؟ فإِنْ كان ما يقولُهُ هو الْحَقُّ عَرَفْتُهُ ، وإِنْ كان يدْعُو إلى باطِلٍ هَجَرْتُهُ .

وعَلِمَ (مُصْعَب) أنَّ (مُحَمدًا) ﷺ يلْتَقِى أصْحابَه سِرًا ، فى دارِ (الأَرْقَمِ بْنِ أَبى الأَرْقَمِ) حتَّى لا تعْلَمَ قُرَيْشُ بأمْرِه ، فقرَّرَ أن يلقاه ويسْمَعَ عَنْهُ .

ومضى (مُصْعَب) فى الْخفاءِ قاصِدًا دارَ (الأَرْقَم بْنِ أَبى الأَرْقَم)، وأَشْواقُهُ تَسْبقُه إلى هُناك، وقلْبُه الْغَضُّ يُحَدِّثُه أَنَّ حياةً جديدَةً فى انْتِظارِه، وأَنَّ مَرْحَلَةً مُخْتلِفةً من حياتِه تُناديه.

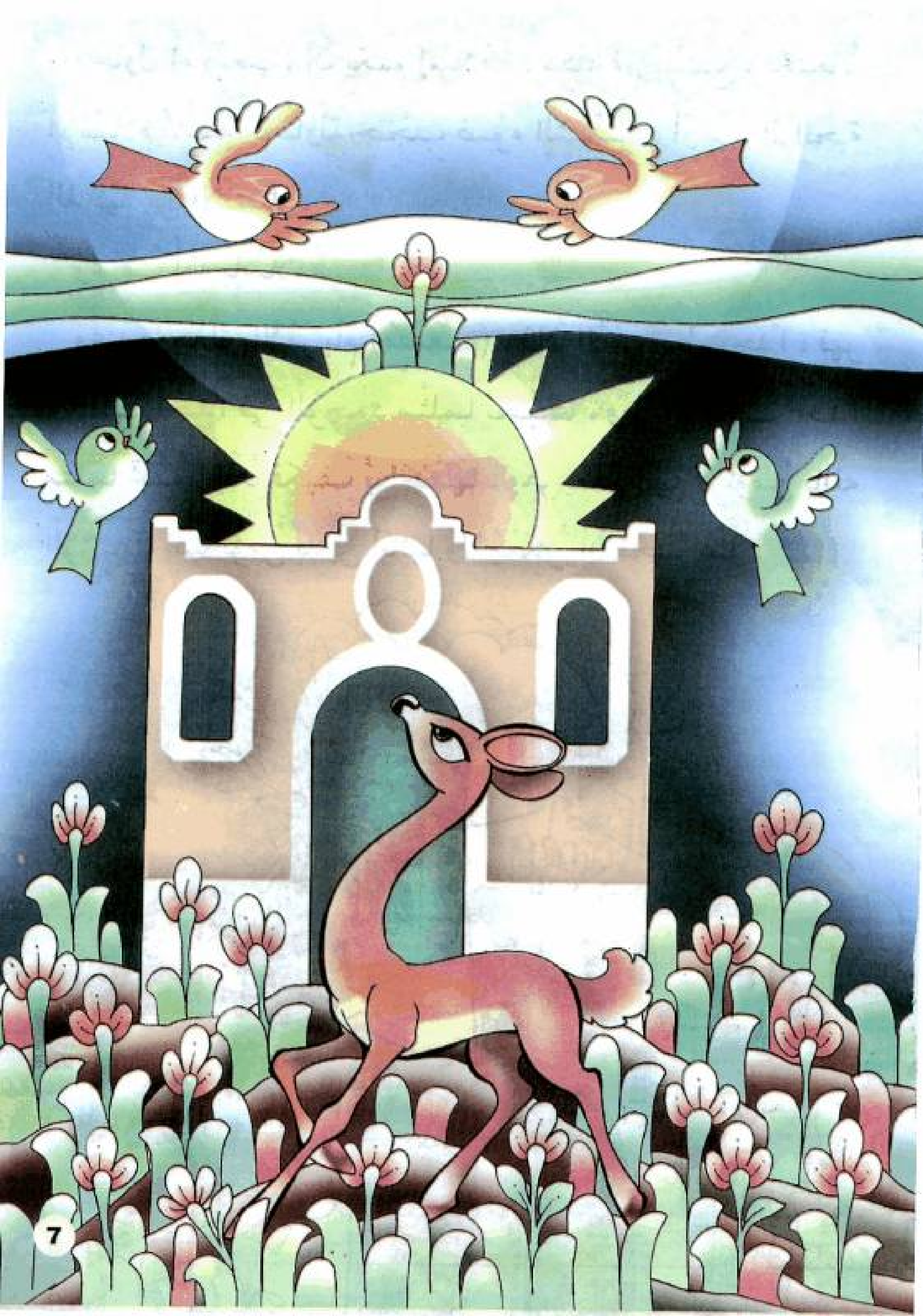
والْتقى (مُصْعَب) برسولِ اللَّه ﷺ.

وما إنْ الْتقتْ عَيْناهُ عَيْنَىْ رسولِ اللَّه ﷺ، حتى شَعَرَ بأَنَّ نَفْسَهُ تُحلِّقُ فى بَحْرٍ منْ نُور، وكأنه يُرفْرِفُ فى الْهَواءِ.

وأَرْهفَ سَمْعَه للرسولِ ﷺ وهو يَتْلُو علَيْه آياتٍ بَيِّنات من الْقرآنِ الْكَريم، وما إنْ أَتَمَّ الرسُولُ ﷺ تِلاوَتَه حتّى كان قلْبُ (مُصْعَب) وعَقْلُه، بلْ وكُلُّ جارحةٍ منْ جَوارِحه تشْهَدُ: أَنَّه لا إِله إلاّ اللَّهُ وأَنَّ (مُحَمدًا) رسُولُ اللَّه.

ومدّ (مُصْعَب) يَدَهُ لِيُبايعَ الرّسولَ ﷺ على السَّمْعِ والطّاعة، ولمْ تكَدْ يَدُه تقَعُ فى يَدِ الرَّسولِ ﷺ حتى تَنَزَّلَتْ عليْه السَّكِينَةُ والطُّمأْنِينَةُ، وسطعَ النُّورُ من جَبِينه فأَضاءَ جَنَباتِ نَفْسه التى كانتْ سجينَةً بتقاليدِ الْمُجْتمَع الْجاهلىِّ.

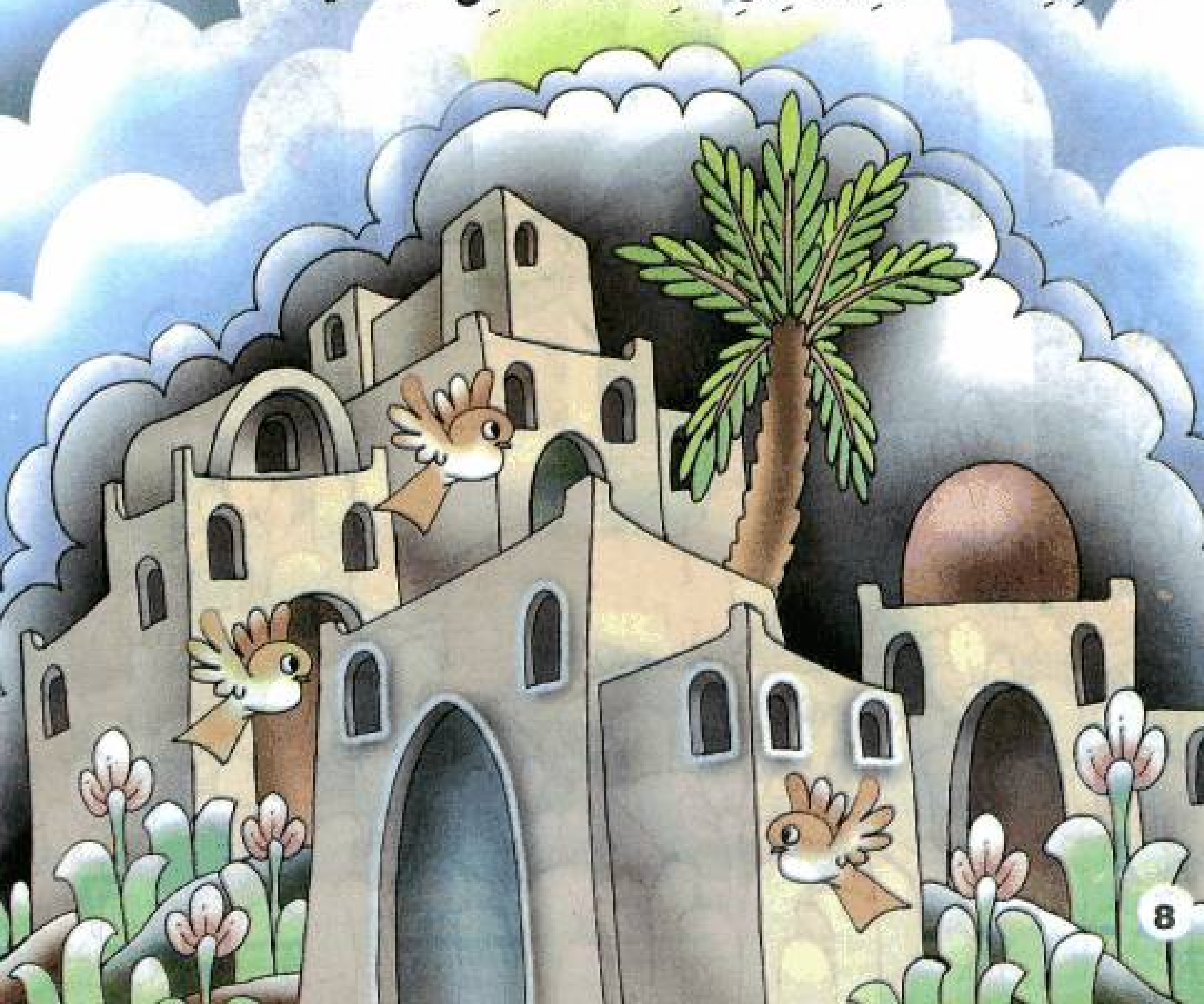
وأَمرَ الرسُولُ ﷺ (مُصْعَبًا) وأَصْحَابَهُ بأَنْ يكْتُمُوا إِسْلامَهم، خوْفًا من تعرُّضِهم لِلأذَى والاضْطِهادِ.



وحاولَ (مُصْعَب) أَنْ يكْتُمَ إسْلامَهُ ، لكنَّهُ لم يَسْتطعْ ، فكِتْمانُ الإسْلام يُشْبِهُ مُحاوَلَةَ حجْبِ ضوءِ الشَّمْسِ ، أوْ مَنْعَ الرَّائِحةِ الذَّكِيَّة من الانْتشارِ .

وعرفَتْ أُمُّه بإسْلامِه .

وعِنْدما يتعلَّقُ الأمْرُ بأُمِّ (مُصْعَب) ، فإنَّ الأَمْرَ خطيرٌ جدًا ، فهو لا يُحِبُّ أَحدًا فى الْوُجود مِثْلما يُحِبُّها ، وهى لا تُحِبُّ أَحدًا مِثْلما تحبُّهُ . إِذَنْ فكيفَ يُواجِهُهَا ، وهو يعْلَمُ أنَّها لا تُؤْمِنُ باللَّه الْواحِدِ ، إنَّما تؤْمِنُ بدِينِ آبَائِها ولا يُمْكِنُ أَنْ تَحيدَ عَنْهُ ؟



لكنْ فلْيُحاوِلْ ! عسَى أَنْ تُفْلِحَ مُحاولَتُه .

رَاحَ (مُصْعَب) يُجادِلُ أُمّه وأَهْلَهُ جميعًا بالْحُسْنَى ، ويدْعوهُمْ إلى دينِ الإسْلامِ ، حيْثُ لا يأْمُرُ إلا بكُلِّ خيْرٍ ولا يَنْهَى إلا عنْ كلِّ شَرٍّ . لكنهمْ صَمُّوا آذانَهُمْ ورفَضُوا أَنْ يسْتمعوا لنداءِ الْعَقْلِ .

ولمْ يكُنْ رَفْضُهُمْ هذا نابِعًا مِنْ عَدَمِ اقْتِناعِهِمْ بما يَقُولُهُ (مُصْعَب) ، ولكنَّه كان بِسَببِ عِنادِهِمْ واسْتِكْبارِهِمْ وتقَاليدِ الْجاهِليَّة التي وَرِثُوها .



وحاولتْ أُمُّ (مُصْعَب) أَنْ تَردَّهُ عنِ الإسْلام ، وتُعِيدَهُ إلى دين آبائِها بِكُلِّ السُّبُلِ ، لكنَّها لم تُفْلِحْ . . فقدْ عايَشَ (مُصْعَب) حلاوَةَ الإيمانِ ونُورَهُ ، ومِنَ الصَّعْب أَنْ يَعُودَ للظَّلام بعْدَ ذلكَ .

وفى حُجْرَةٍ مُظْلمة مُحْكَمة الإغْلاق ، حَبستْهُ أُمُّه ، وعَيَّنَتْ حارسًا خاصًا لكىْ يَمْنَعَهُ مِنَ الْهَرَبِ أَو الالْتقاء (بِمُحمد) ﷺ .

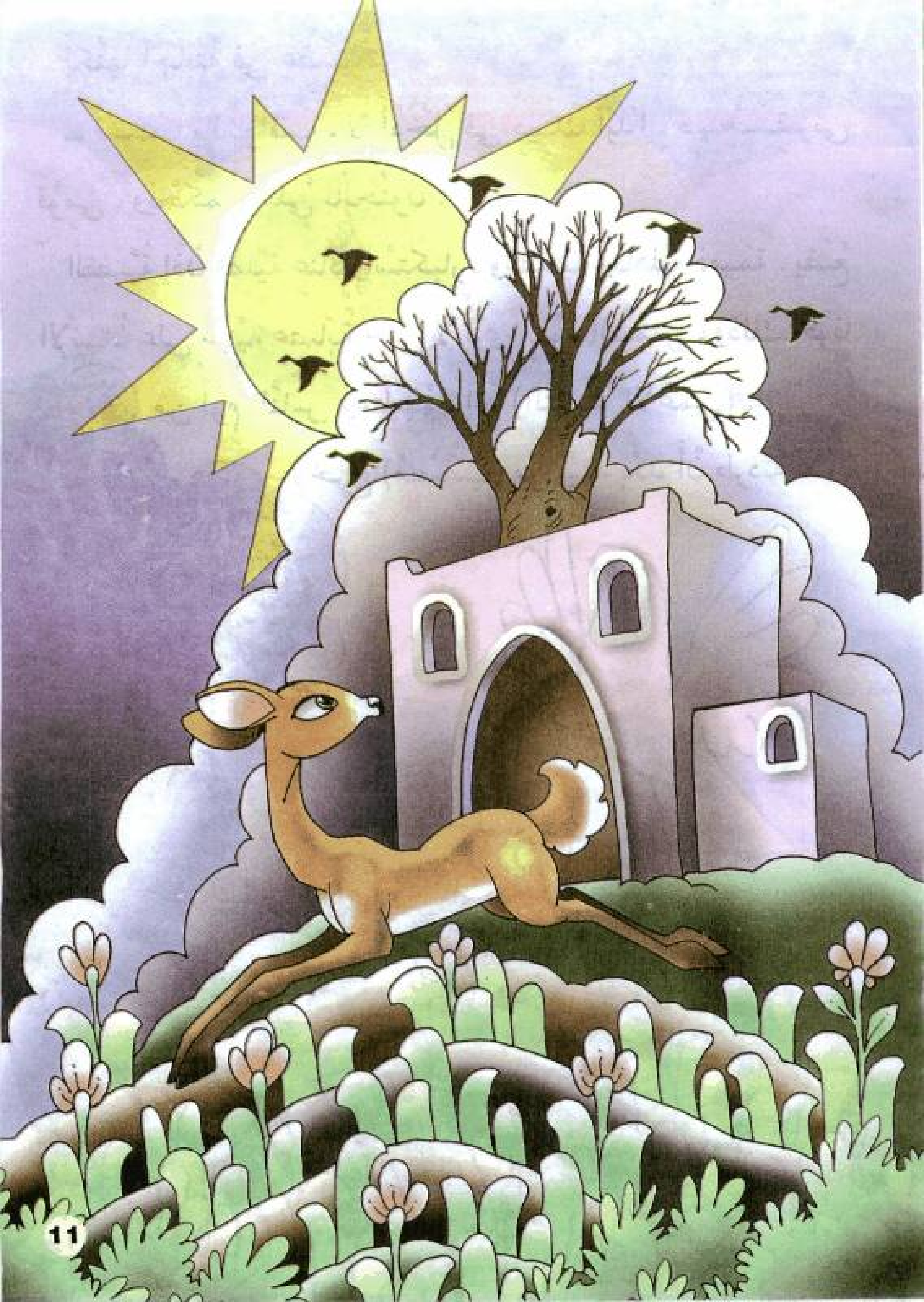
لكنْ دُونَ جَدْوَى ، فقدْ كانْ (مُصْعَب) يَزْدادُ إيمانًا يومًا بعْدَ يوْم .

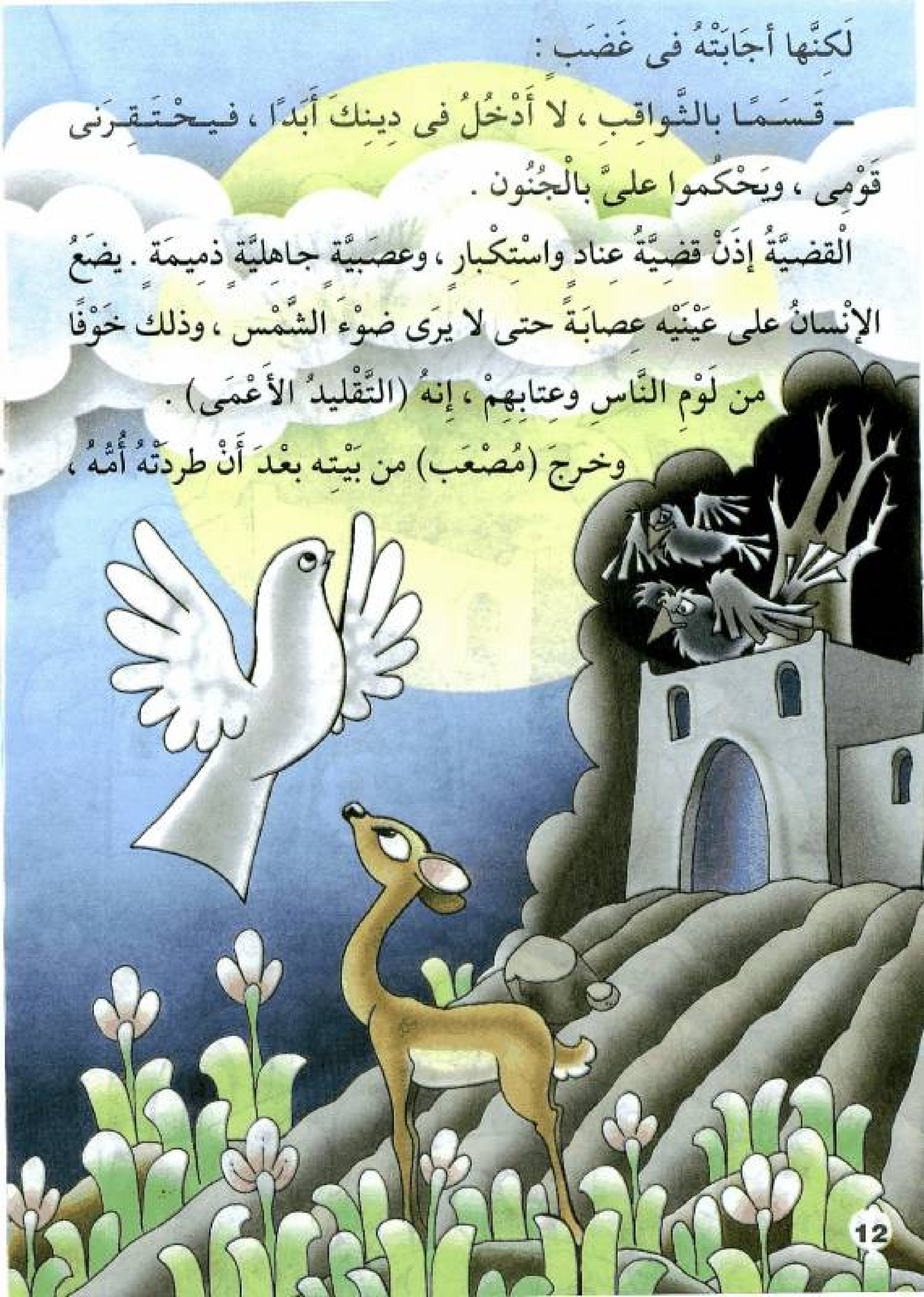
ومرَّتِ الأيَّامُ ويئِسَتْ أُمُّ (مُصْعَب) من عَوْدَتِه ، وتحوَّلَ حُبُّها الْكبيرُ لابْنِها إلى غَضَبٍ ونقْمَةٍ ، فقرَّرتْ أَنْ تطْرُدَه مِنْ بيْتِها ، وأَنْ تحْرِمَه منْ مَالِها ، ومِنَ الْحياةِ الرَّغْدةِ الْهانِئَةِ التى كان يعيشُها ، وتجرَّدَتِ الأُمُّ منْ مَشَاعِرِها تجاهَ ابْنِها فطردَتْهُ بالْفِعْلِ وقالت فى قَسْوَةٍ :

ـ اذْهبْ لشأْنِك ، لمْ أعُدْ لكَ أُمًا .

لكنَّ (مُصْعَب) الرَّقيقَ اللَّيِّنَ الْجانِبِ ، لا يَهُمُّه شَىْءٌ منْ هذا ، فَسعادَتُهُ ليستْ فى الْمالِ ولا فى النَّعيمِ ، إنَّما يهُمُّه أنْ تثُوبَ أُمُّه إلى رشْدِها وأَنْ تُصْغِيَ لِصوْتِ الْعَقْلِ ، فراحَ ينصَحُها بصْدق وتَجَرُّد قائلاً :

ـ ياأُمِّ ، إنِى لَكِ ناصِحٌ ، وعلَيْكِ شَفُوقٌ ، فاشْهَدِى أَنَّه لا إلَهَ إلا اللَّهُ ، وأَنَّ (مُحَمدًا) عَبْدهُ ورسُولُهُ .





لَكِنَّها أجَابَتْهُ فى غَضَبٍ :

ـ قَسَمًا بالثَّواقِبِ ، لا أَدْخُلُ فى دِينِكَ أَبَدًا ، فيحْتَقِرَنى قَوْمِى ، ويَحْكُموا علىَّ بالْجُنُونِ .

الْقضيَّةُ إذَنْ قضيَّةُ عِنادٍ واسْتِكْبارٍ ، وعصَبيَّةٍ جاهليَّةٍ ذميمَةٍ . يضَعُ الإنْسانُ على عَيْنَيْه عِصابَةً حتى لا يرَى ضوْءَ الشَّمْسِ ، وذلك خَوْفًا من لَوْمِ النَّاسِ وعتابِهِمْ ، إنهُ (التَّقْليدُ الأَعْمَى) .

وخرجَ (مُصْعَب) من بَيْتِه بعْدَ أَنْ طردَتْهُ أُمُّهُ ،

وجرّدتْهُ من كلِّ شيْءٍ حتى ملابِسه التى كانَ يُعْرَفُ بها.

وعاش حياةً أُخْرَى مختلفةً تمامَ الاخْتِلافِ عن تلْكَ التى كانَ يحياها ؛ الأُولَى كانتْ حياةً تعْتمدُ على الشَّكْلِ الْخارِجِىِّ والْمَظْهرِ ، بَيْنما حياتُهُ الْجديدةُ لا يَعْنِيها سِوَى «الْجَوْهَرِ».

فها هو ذَا (مُصْعَب) يمرُّ على الرَّسولِ ﷺ وأَصْحابِه وهو يَرْتَدى ثيابًا بَالِيَةً ، وعنْدما يراهُ الرَّسولُ ﷺ يتذكَّرُ ما كانَ عليْه مِنْ نعيمٍ وما صارَ إليهِ حَالُهُ ، فَيَرقُّ له لكنَّهُ يُشيدُ بِموْقفِ (مُصْعَب) ويُعْلِى مِنْ قَدْرِه بيْن أصْحابه بقوْله :

ـ لقدْ رأَيْتُ (مُصْعَبًا) هذا وما بِمَكَّةَ فتًى أَنْعَمُ عنْدَ أَبَوَيْه منه ، ثم تركَ ذلك كلَّهُ حُبًّا للَّهِ ورَسُولِه.

أَجَلْ لقدْ تركَ (مُصْعَب) الْمالَ والثِّيابَ والْعَيْشَ الرَّغْدَ، وتخلَّى عَنِ الْمَظَاهِرِ الْكَاذِبة وتفرَّغَ تمامًا للدَّعْوَة إلى اللَّه، فقدْ حَبَاهُ اللَّه بمَنْطِق ساحرٍ، وبيانٍ رائعٍ، فهوَ حينَ يتحدَّثُ يجْبُركَ حديثُهُ على احْترامه، ولذلكَ فقدِ اسْتَغَلَّ هذه الْمَوْهِبَةَ وراحَ يدْعُو مَنْ يأْنَسُ فيه خيْرًا إلى الإسْلام.

كان الرسُولُ ﷺ يعْرفُ صِدْقَ (مُصْعَب) وإخْلاصَهُ، لذلكَ فقدِ اخْتارَهُ للْقيام بأعْظَم مُهِمَّة فى الإسْلام: إنَّها مُهِمَّةُ الدَّعْوَةِ فى الْمدينَة، التى ستكونُ مقرًّا دائمًا للرَّسولِ ﷺ بعْدَ ذلك.

ولمْ يتردَّدْ (مُصْعَب) فى قَبُولِ هذه الْمُهِمَّة العظيمة، الْجليلة الْقَدْرِ، مُهِمَّة تَعْريف النَّاسِ بالإسْلامِ ودعْوَتِهمْ إلى الْحَقِّ والْعَدْل والْخيْر.

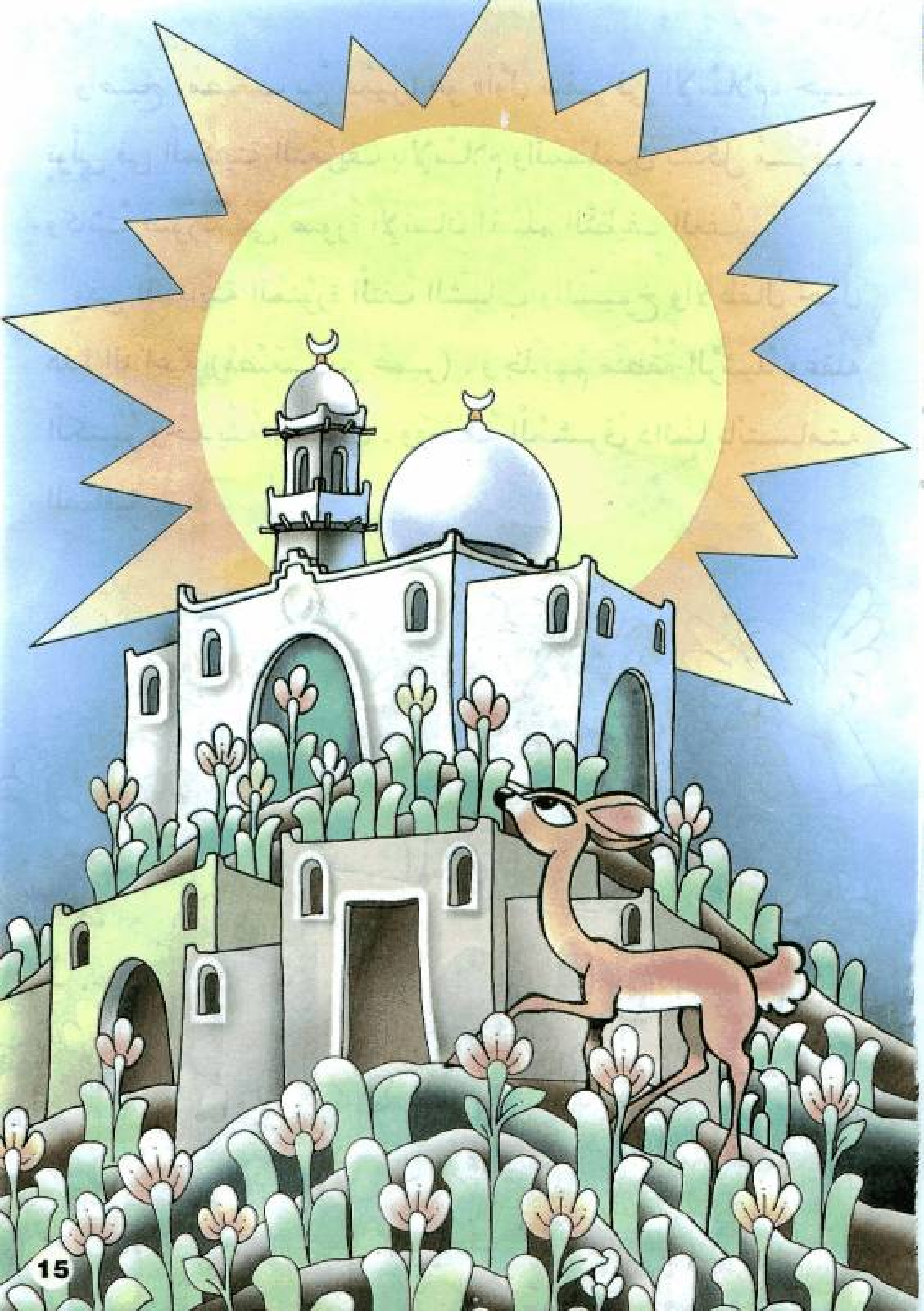
وكيْفَ له أَنْ يتردَّدَ، وقدْ سمعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يقولُ:

ـ «لأَنْ يَهْدِىَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لك مِنَ الدُّنْيَا وما فِيها».

وسَمِعهُ وهو يقولُ:

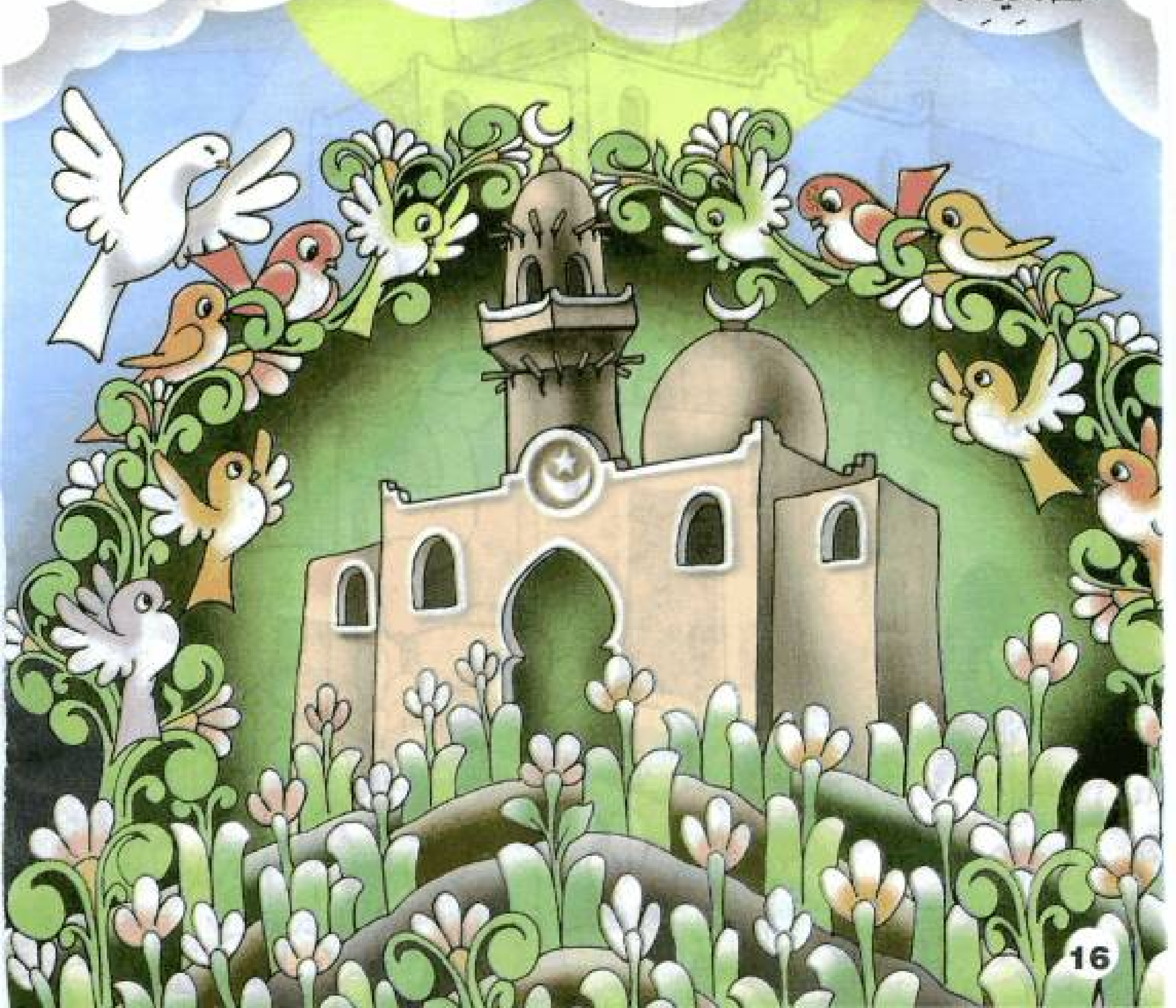
ـ «لأَنْ يهْدِى اللَّهُ بكَ رجُلاً خيرٌ لكَ مما طلعَتْ عليْه الشَّمْسُ».

لذلكَ فقدْ نذرَ نَفْسَه وحياتَه وكُلَّ ما يملكُ للْقيامِ بهذا الأَمْرِ الْعظيم على أكْمَلِ وجْهٍ، وأنْ يُؤَدِّيَهُ على النَّحْوِ الذى يريدُهُ اللَّه ورسُولُه.



وأَصْبحَ (مُصْعَب بن عُمَيْر) هو «أَوَّلُ سفِيرٍ فى الإسْلامِ» حيثُ تولَّى فى الْمدينَةِ التَّعْريفَ بالإسْلامِ والْمُسْلمِينَ بشَكْلٍ مُشَرِّفٍ، وكانتْ صورتهُ هى صورَةُ الإنْسانِ المسْلم النَّظِيفِ الْعَفِّ.

وفى الْمَدينَةِ الْمُنَوَّرَة الْتَفَّ الشَّبابُ والشُّيوخ والأطْفالُ حوْلَ هذا الدَّاعِيَة (مُصْعَب بْنِ عُمير)، وجَذَبَهُمْ مَنْطقَةُ الرَّشيدُ وعَقْلُهُ الْكَبِيرُ وحَدِيثُهُ الْعَذْبُ، ووَجْهُهُ الْمُشرِقُ دائمًا بابْتِسامتِه الصَّافِيَةِ.



وأَصْـــبحَ عــدَدُ المسْلمينَ فى ازْدِيادٍ كلَّ يوْمٍ ، فَــقَــدْ دخلَ (مُصْعَب) الْمدينَةَ الْمُنوَّرَة وبها اثْنا عَشَرَ مُسْلمًا ومسْلمةً فقطْ ، وبعْدَ عام أَصْبَحَ الْمُسْلمونَ والْمُسْلماتُ يُعَدُّونَ بالْمِئاتِ .

ورأَى الْيَهودُ والْمُنافقونَ ازْدِيادَ عَددِ الْمُسْلمينَ ، فاحْتَرَقَتْ قلُوبُهمْ وامْتلأَتْ بالْحِقْدِ والْغَيْظ ؛ فراحُوا يُحرِّضُونَ زُعَماءَ الْمـدِينَةِ ويُشَـوِّهونَ صُورةَ الإِسْلامِ فى عُـيُونهمْ ، لكنَّ تلْكَ الْمُحاولاتِ كانتْ تَبُوءُ بالْفَشَلِ .



فها هُوَ ذَا (أُسَيْدُ بْنُ حُضير) سيِّدُ قوْمِه وزعِيمُهُمْ ، ذهبَ إلَيْه الْيَهُودُ وقالوا :

ـ لقدْ سمِعْنا بشَابٍّ وفَدَ مِنْ مَكَّةَ إلى دِيارِنا يُسَفِّهُ دينَ الْعربِ ، ويُفرِّقُ بيْن الْمرءِ وقَلْبه ، واسْمُهُ (مُصْعَب بْنُ عُمير) وأَنتَ سيِّد قوْمِكَ ويجبُ أَنْ تخَلِّصَنا مِنْهُ ومِمَّنْ معهُ .

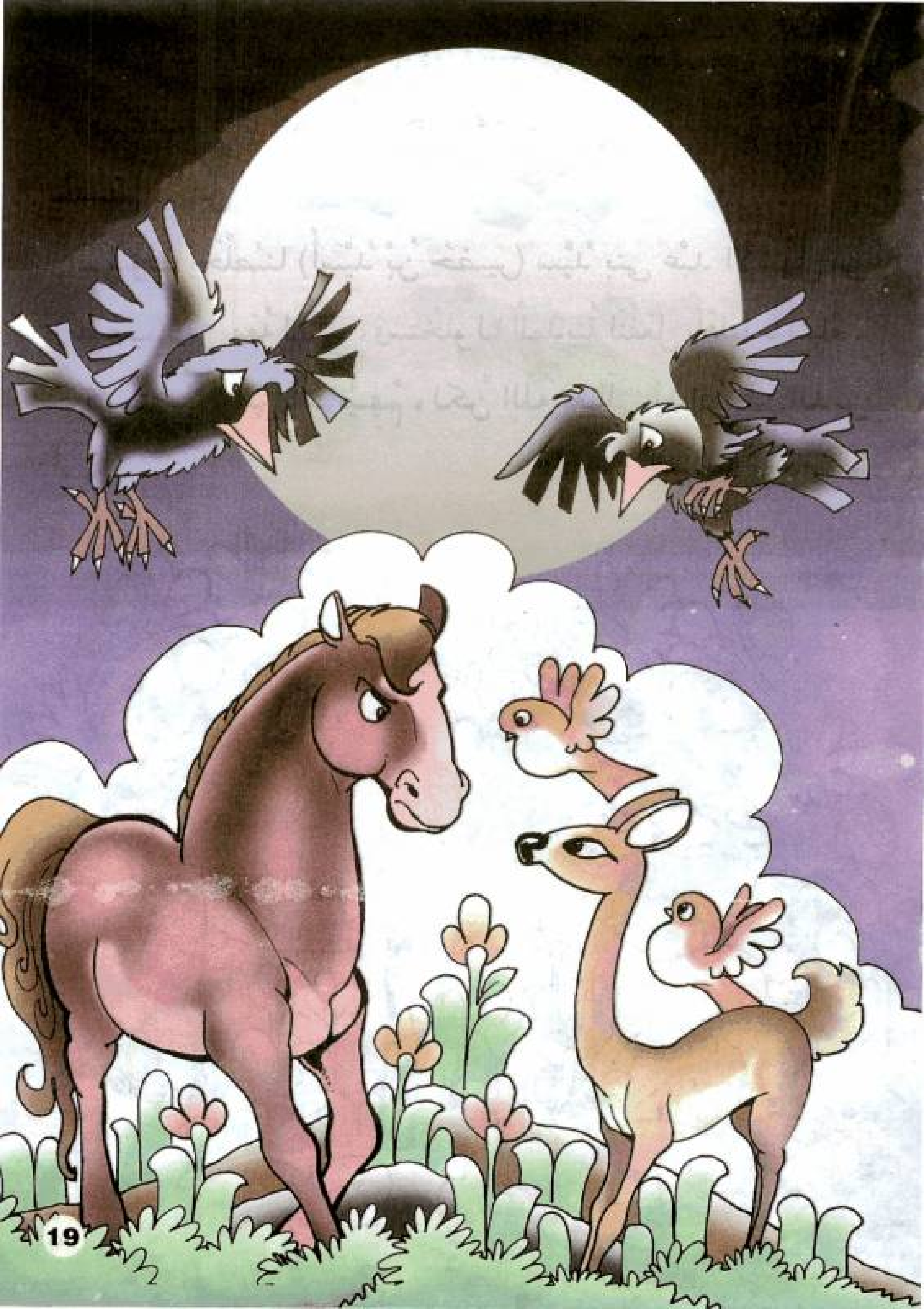
وحملَ (أُسَيْد) حرْبَتَهُ ، وحثَّ خُطاهُ مُسْرِعًا إلى حيْثُ يجتمعُ (مُصْعَب) وأَتْباعُهُ ، وهو يَنْتَوِى الشَّرَّ .

ورأى أَحدُ الْجالسينَ مع (مُصْعَب) (أُسَيْدَ بْنَ حُضير) قادِمًا مِنْ بعيدٍ وهو يَحْملُ حرْبَتَهُ ، فأدْركَ أَنَّ أَحَدًا قد حرَّضَهُ ضِدَّهُمْ ، ومالَ هذا الرجلُ على (مُصْعَب) وقالَ له :

ـ ويْحَكَ يا (مُصْعَب) ، هذا سيِّد قوْمِه ، وأَرْجَحُهُمْ عقْلاً ، وأَكْملُهُمْ كمالاً ، فإنْ يُسْلِمْ تَبِعَهُ فى إِسْلامِه خَلْقٌ كثيرٌ ، فاصْدُقِ اللَّهَ فيه ، وأَحسِنْ عرْضَ الأَمْرِ علَيْه .

ولمْ يكَدْ (أُسَيْدُ بْنُ حُضير) يرى (مُصْعَب بْنَ عُمير) ومَنْ معهُ ، حتى بدا الْغَضَبُ على وجْهه وقال فى حَنَقٍ :

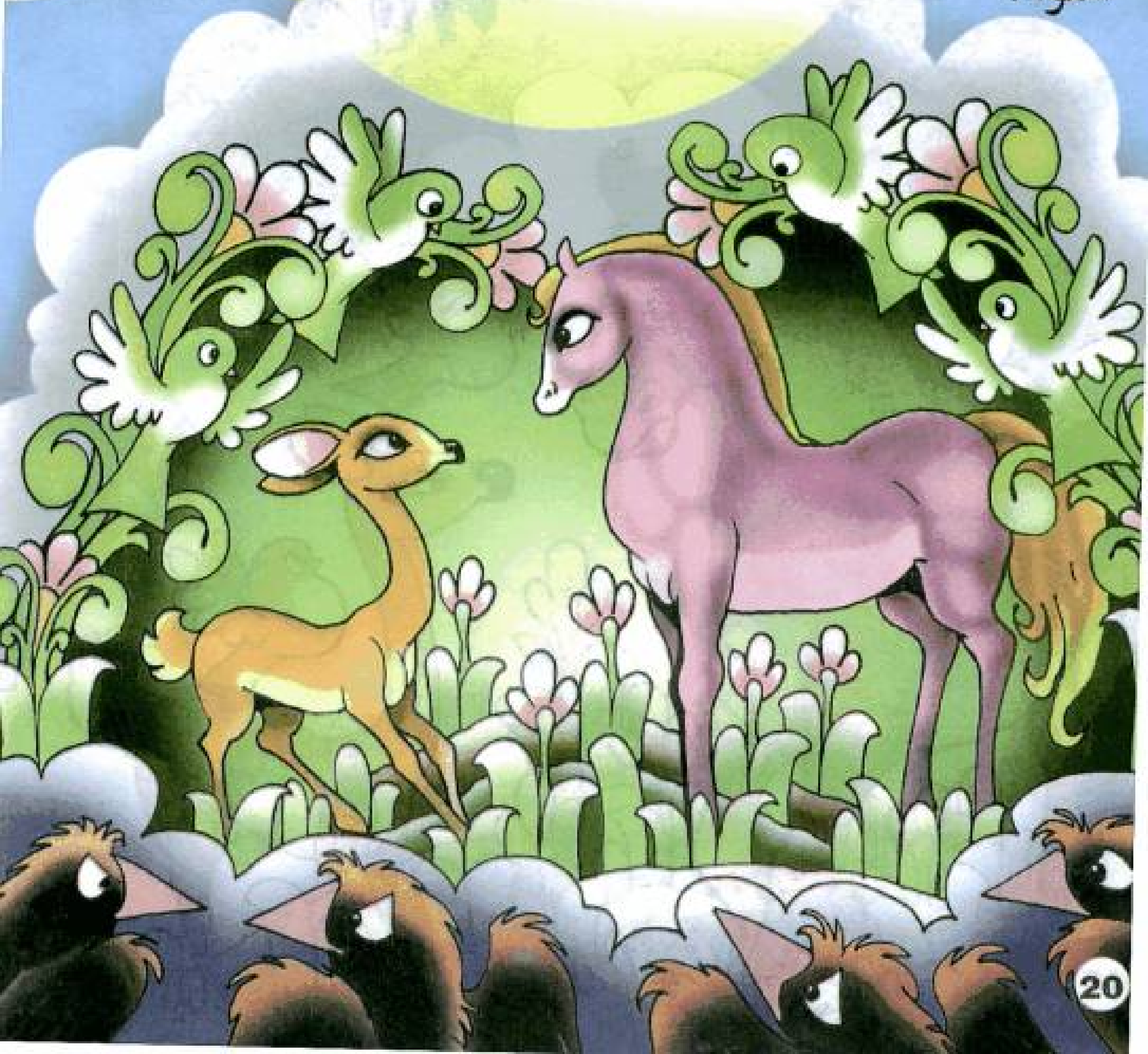
ـ ما جاءَ بكُما إلى حَيِّنا وأَغْراكُمَا بضُعَفائِنا ؟ اعْتَزِلا هذا الْحَىَّ إِنْ كانت لكُمَا بنَفْسَيكُما حاجَةٌ .



كانَ الْيهودُ والـمُنافقون يرَوْنَ ويسْمعونَ ما يَدورُ بيْنَ (أُسَيْد) و (مُصْعَب) دونَ أَنْ يراهُمْ أَحَدٌ ، وكانتِ السَّعادَةُ تغْمُرُهمْ ويقولُ بعْضُهمْ لِبَعْض :

ـ سوْف يُخَلِّصُنا (أُسَيْدُ بْنُ حُضير) سيِّدُ بنى عبْدِ الأَشْهَلِ من (مُصْعَب) ومَنْ معَهُ لِلأَبَد ، وستَخْلو لنا الْمدينةُ لنَفْعَلَ بأهْلها ما نشاءُ .

كانتْ تِلْكَ هى أَمانِيِّهِمْ ، لكنَّ اللَّه تعالَى يُدافِعُ عنِ الَّذين آمَنوُا .



فما إنِ الْتَقَتْ عَينَا (مُصْعَب) بعَيْنَى (أُسَيْد) حتى أَحسَّ أَنَّهُ أَمَامَ رجُلٍ عاقل راجح الْعَقْلِ، وهنا خاطَبَهُ (مُصْعَب) بلَهْجَة هادئة فيها عُذُوبَةٌ ولُطْفٌ وقال:

ـ يا سيِّد قوْمِه، هل لك فى خيْرٍ منْ ذَلك؟

فقالَ (أُسَيْد): ـ وما هوَ؟

فقالَ (مُصْعَب):

ـ تَجْلسُ إلَيْنا وتسْمَعُ منَّا فإنْ رَضيتَ ما قُلْناهُ قَبِلْتَه، وإنْ لمْ تَرْضَهُ تحوَّلْنا عَنْكُمْ ولمْ نَعُدْ إلَيْكُمْ.

وتفكَّر (أُسَيد) فيما قاله (مُصْعَب) فعلِمَ أَنَّه كلامٌ عاقِلٌ مُنْصِفٌ فقال : ـ لقَدْ أَنْصَفْتَ .

ثم أَلْقى حَرْبَتَهُ جانبًا وراحَ يَسْمَعُ إلى (مُصْعَب) وهو يَتْلُو عليْه الْقُرآنَ الْكريمَ ، ويُبَيِّنُ له حقيقَةَ الإسْلام : ذلك الدِّينِ الذى يقومُ على الْبِرِّ والرَّحْمَةِ والتَّسامُحِ ، ويَدْعو إلى مَكَارِمِ الأَخْلاق .

ولأنَّ (أُسَيْدَ بْنَ حُضير) كان رجُلاً لَبيبًا عاقلاً ، فقدْ أَدْركَ أَنَّ هذا الدِّينَ هو دينُ الْحَقِّ ، وأَحسَّ بأَنَّ رُوحَهُ قدْ بُعِثَتْ منْ جديد ، وأَنَّ نورًا قدْ أضاءَ جَنَبَاتِ نَفْسِه .

وأَشْرقَ وجْهُ (أُسَيْد) فقالَ :

ـ ما أَحْسَنَ هذا الذى تقولُ ، ومَا أَجَلَّ ذلك الذى تَتْلُو !

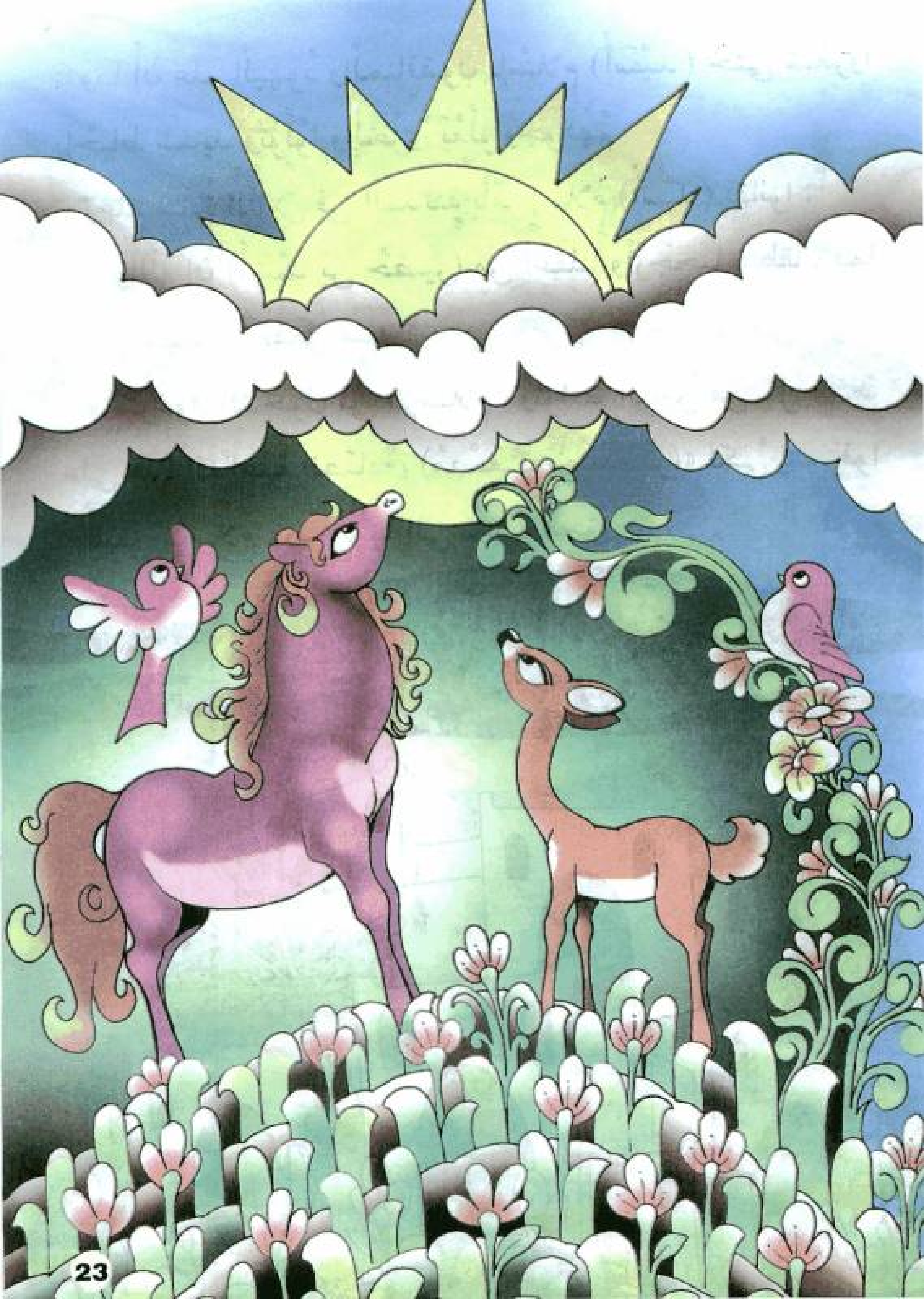
ثم تلألأَ وجْهُهُ بالنُّورِ وسألَ فى لَهْفَة :

ـ كيفْ يصْنَعُ مَنْ يريدُ أَنْ يدْخُلَ فى هذا الدِّينِ ؟

فأجابهُ (مُصْعَب) :

ـ تغْتَسِلُ ، وتُطَهِّرُ ثيابَكَ وتشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ وأَنَّ (مُحمَّدًا) رسولُ اللَّه ﷺ . .

وعلى الْفَوْرِ قامَ (أُسَيْد) وأَسْرعَ إلى بَيْته ، فاغْتَسَلَ وتطَهَّرَ ، ثم عادَ فأَعْلَنَ على الْمَلإِ أَنَّهُ يَشْهَدُ : أَنَّه لا إلَهَ إلا اللَّهُ وأَنَّ (مُحمَّدًا) رسولُ اللَّه .



وما إنْ علمَ الْيهودُ والْمنافقون بإسْلام (أُسَيْد) حتى شَعَروا بإحْباط شَديد وتولَّوْا والْخزىُ يَعْلو وُجوهَهُمْ .

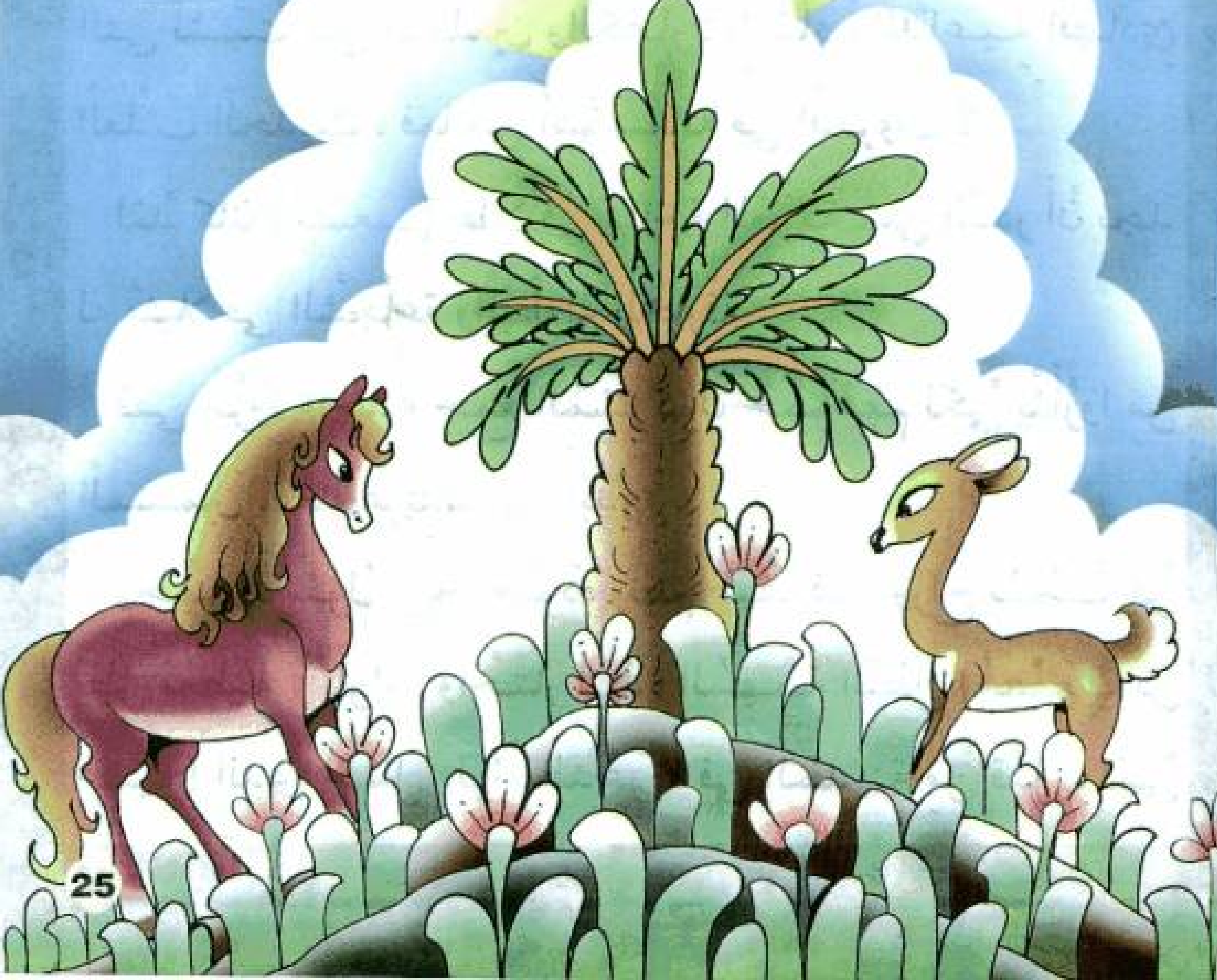
وعلم سادةُ النَّاس فى الْمدينة بأمْر إسْلام (أُسَيْد) فقالوا :

ـ واللَّه إنَّ (أُسَيْدَ بْنَ حُضير) مِنْ أعْقَلِنا وأرْجَحِنا مَنْطِقًا ، فما الذى يَمْنَعُنا أنْ نفعَلَ مثْلَهُ ؟

فأَسْرعوا بالدُّخولِ فى الإسْلام ، وتوافَدَ الناسُ منْ كلِّ مكانٍ على هذا الدَّاعيَةِ الصَّادق (مُصْعَب بْنِ عُمير) لكَىْ يتعرَّفوا حقيقةَ الإسْلامِ ، وينْضَمُّوا إلى كَتيبَهِ الْحقِّ .

وأَصبْح أكْثرُ أَهْل الْمدينة مُسْلمينَ ، بعْد مُدَّة وَجيزَة منْ هجْرَة (مُصْعَب) إلَيْها ، وهاجَر الرسولُ ﷺ بعْدَ ذلك إلَيْها فاسْتَقْبلَه أَهْلُها بالتَّرْحابِ واللَّهْفَة الشَّديدة ، وأقامَ دولَةً للْمسلمينَ على أَرْضِ الْمدينَة الْمُنَوَّرة ، منْها غمَرَ النُّورُ كلَّ أَنحاء الْعالم .

إنَّ النَّجاحَ الْكبيرَ الذى حقَّقهُ الدَّاعيةُ الشَّابُّ (مُصْعَب بْنُ عُمير) فى الْمدينة ، يُفَسِّرُ لنا سرَّ اخْتيار الرَّسولِ ﷺ لهُ بالذَّات لكىْ يقومَ بهذه الْمُهمَّةِ الْجليلة ، علْمًا بأنهُ كان يُوجَدُ عدَدٌ كبيرٌ منْ كبارِ الصَّحابةِ الذين يسْتَطيعونَ الْقيامَ بها .



لقدْ كان اخْتيارُ النَّبىِّ ﷺ لهذا الشَّابِّ دَليلاً على حُبِّه الشَّديد له ، وتأَكُّده منْ صدْقه وإخْلاصه ، كما كان يُؤْمنُ ﷺ بأَنَّ (مُصْعَب بْنَ عُمير) قادرٌ على أَداءِ هذه الْمُهِمَّةِ بنجاح بسببِ الْقُدْراتِ الْخاصَّةِ التى حَباهُ اللّه بهَا ، مثل : حُسْنِ الْبَيان ، ورَجَاحةِ الْعَقْل ، والْهُدُوء وعَدَم التَّسَرُّع ، والثَّقافةِ الْعاليةِ . وهذه الْمُؤَهَّلاتُ منَ الصَّعْب توَافُرُها فى أَحد ، لذلك فقدْ وضعَ الرسولُ ﷺ «الرَّجُلَ الْمُناسِبَ فى الْمَكانِ الْمُناسِب» .

كانتْ هذه هى أَهَمُّ سمات (مُصْعَب) قبْل المعاركِ والْحُرُوبِ التى نَشَبَتْ بيْنَ المسلمينَ والْكُفَّار : الشَّابِّ الدَّاعيةِ الْهادئِ الْعَذْب الْحَديثِ . فما هى أَهَمُّ سِمَاته فى الْحُرُوبِ ؟

لقدْ كان (مُصْعَب) بطلاً فى ساحَةِ المعْركةِ ، من النَّادرِ أَنْ نَجدَ له مَثيلاً فى الشَّجاعة والْبُطُولَة الْخَارِقَة .

ففى غَزْوَةِ «أُحُدٍ» جمعَ الْمُشْركونَ جُمُوعَهم لكىْ يثْأَرُوا منَ الْمسلمينَ ، بعْدَ هزيمتهمْ فى «بَدْر» .

وجَهَّزَ الرسولُ ﷺ جُنُودَه ونظَّمَ صُفُوفَه ، وراحَ يبْحَثُ عنْ بَطَلٍ يُعْطيه «اللِّواءَ» واخْتَارَ لهذه الْمُهِمَّةِ الْبَطَلَ (مُصْعَبَ بْنَ عُمير) الذى حَملَ «لِواءَ الدَّعْوَةِ» فى الْمدينةِ منْ قَبْلُ ، لكى

يحْملَ (لواءَ الْجهادِ) في سبيلِ اللَّهِ فى ساحَةِ الْمَعْرِكَةِ.

كانَتْ غَزْوَةُ «أُحُد» مُخْتلِفَةً عنْ غَزْوة «بَدْر»، فقدْ تحوَّلَ انْتِصارُ الْمُسْلِمينَ إلى هَزِيمة، بعْدَ أَنْ وضعَ (خالدِ بْنُ الْوَلِيدِ) ـ وكانَ مُشْرِكًا فى ذلكَ الْوَقْتِ ـ خطَّةً مُحْكَمَةً اسْتطاعَ بها أَنْ يُحْكِمَ الْحِصارَ حوْلَ الْمُسْلِمينَ ويُعَرِّضَهُمْ للْخَطَرِ.

وتعرَّضَ الرَّسولُ ﷺ نَفْسُهُ للْخَطرِ فى هذه الْمَعْرَكةِ، فقدْ كانَ هو هَدَفَ الْمشْركينَ الرَّئِيسىَّ، فقدْ أرادوا أنْ يتخلَّصوا منْهُ

بأيَّة طريقة ، ظنًا منهمْ أنَّ فى قَتْله موْتًا لدَعْوَته إلى الأبَد .

ورأى (مُصْعَب) الْخطَر الذى يُهَدِّدُ الرَّسولَ ﷺ ، فراحَ ينادى الْمُسْلمينَ ليَحْموا رَسولَ اللَّه ﷺ ، وهُوَ يضْرِبُ بسَيْفه فى كُلِّ اتِّجاه بإحْدَى يَديْه ، وبالْيَد الأُخْرى كان يَحْملُ (اللِّواءَ) .

وظلَّ (مُصْعَب) يقاتلُ فى شَجاعة مُتَناهيَة وهوَ يَقولُ :

ـ ﴿ومَا (مُحَمَّدٌ) إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خلَتْ منْ قَبْله الرُّسُلُ﴾

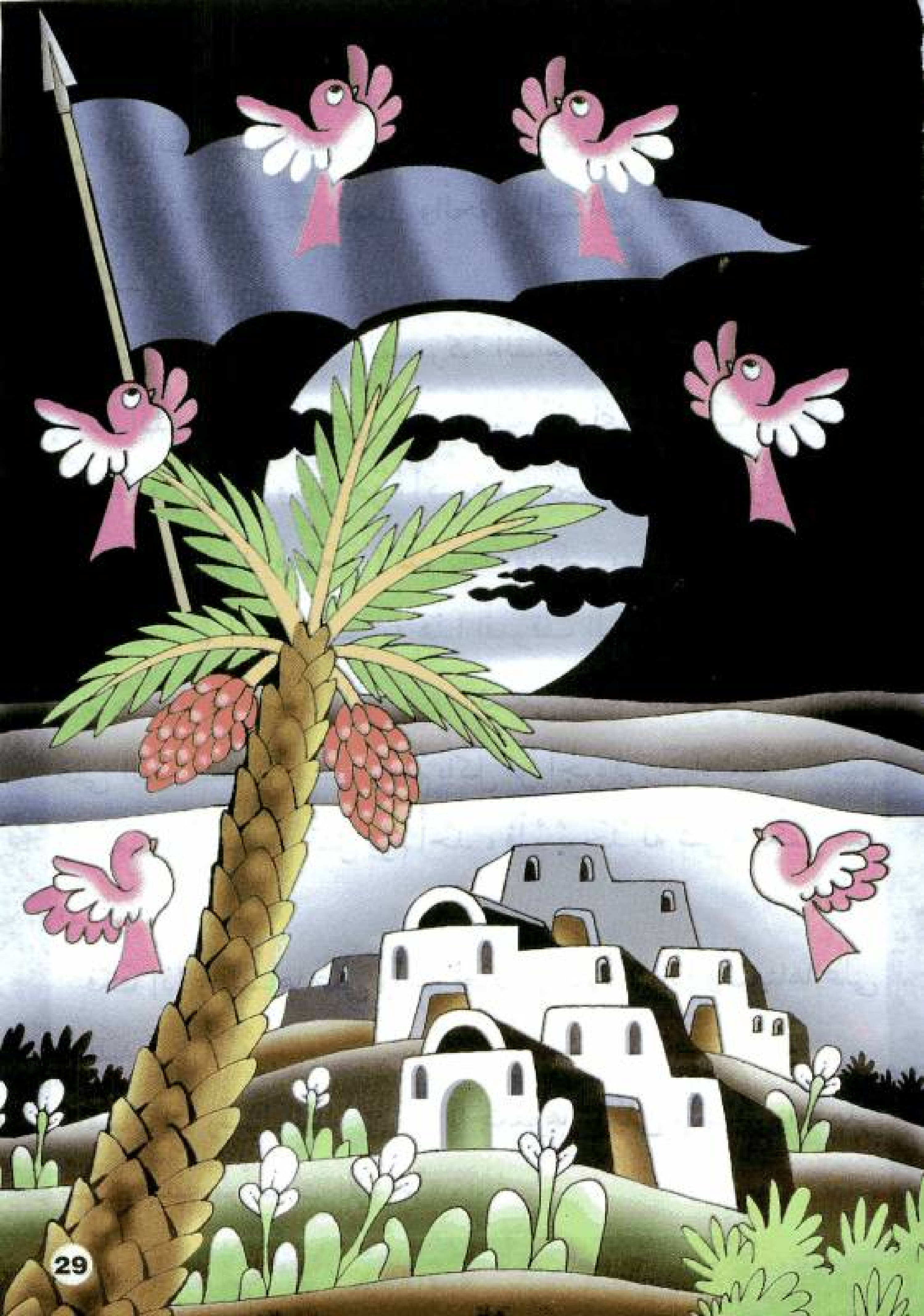
ورَأى أَحَدُ الْمُشْركينَ (مُصْعَب بْنَ عُمير) وهو يحْملُ (اللِّواء) بإحْدى يدَيْه ، ويُقاتلُ باليَد الأُخْرَى ، فتسلَّلَ منْ خَلْفه وضربَهُ على الْيَد التى تحْملُ اللِّواءَ فقطَعَها ، وعنْدَئذ حملَ (مُصْعَب) «اللِّواءَ» بيده الأُخْرَى ، فضرَبهُ الْمُشْركُ عليْها فقطَعَهَا ، وهنا ضَمَّ (مُصْعَب) «اللِّواء» بيْنَ عَضُدَيْه إلى صَدْره حتى لا يَسْقُطَ .

لكنَّ هذا الْمُشْركَ وجَّه ضَرْبَةً قاتلةً إلى (مُصْعَب بْن عُمير) فسقطَ على ساحَة الْقتال شَهيدًا ، وسقطَ «اللِّواءُ» لكنَّ الْبَطلَ الشُّجاعَ (علىَّ بْنَ أَبى طالب) تمكَّنَ منْ حَمْله ورَفْعه مَرَّةً أُخرى .

سقطَ (مُصْعَب) وهو يُرَدِّدُ قوْلَه :

ـ ﴿وما مُحمدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ منْ قَبْله الرُّسُلُ . .﴾

وكأنَّه أرادَ أنْ يقولَ للْكُفَّار : أَريحوا أَنْفُسَكُمْ ، فحتى لوْ تمكَّنْتُمْ



مِنْ قَتْلِ (مُحمد) ﷺ ، فإِنَّ دعْوَتَهُ لنْ تموتَ ، لأنها قد اسْتَقَرَّتْ فى كلِّ الضَّمائِرِ والنُّفُوسِ ، وأَتْبَاعُ (مُحَمَّدٍ) لنْ يَتَوانَوْا عنْ نَشْرِ مَبادئِ الإِسْلامِ وقِيَمِ الْعَدْلِ والْحَقِّ والتَّسامُحِ التى علَّمَهُمْ إِيَّاها (محمدٌ) ﷺ .

وبعْد أَنِ انْتَهَتْ هذه الْمَعْرَكَةُ الْقَاسِيَةُ ، راحَ الرسولُ ﷺ يَتَفَقَّدُ الشُّهَداءَ والْجَرْحَى ، وكمْ أَحْزَنَهُ أَنْ رأى (مُصْعَبَ بْنَ عُمير) مُضَرجًا فى دِمائه ، وكانَ حُزْنُهُ أَكْبر عنْدَما بحثَ عَنْ قطْعَةٍ مِنَ الْقُماشِ لكىْ يُكفِّنَ فيها (مُصْعَب) فلَمْ يَجدْ ما يَفِى بهذا الْغَرَضِ .

وقد وصَفَ أَحَدُ الصَّحَابةِ هذا الْمَوْقفَ الْمؤثِّرَ بقَوْله :

ـ هاجَرْنَا مع رسولِ اللَّه ﷺ ، نَبْتَغِى وجْهَ الله ، فوَجَبَ أَجْرُنَا علَى اللَّه ، فَمِنَّا مَنْ مضَى ، ولمْ يأْكُلْ مِنْ أَجْرِه فى دُنْياهُ شَيْئًا . . مِنْهُمْ (مُصْعَب بْنُ عُمير) قُتِلَ يوْمَ أُحُدٍ ، فلَمْ يُوجَدْ له شَىْءٌ يكَفَّنُ فِيه إِلا نمرة .

فكُنَّا إذا وضَعْناها على رأْسِه تعرَّتْ رِجْلاهُ ، وإِذا وضعْناها على رِجْلَيْه برزَ رأْسُهُ .

فقَال لنا رسولُ اللَّه ﷺ : «اجْعَلوها مما يَلِى رأْسَهُ ، واجْعَلوا على رِجْلَيْه منْ نبات الإِذْخِرِ» .



ولمْ يتمالَك الرسولُ ﷺ ولا الصَّحابَةُ أَنْفُسَهُمْ منَ الدَّمْع ، وهمْ يَرَوْن (مُصْعَب بْنَ عُمير) فتَى مكَّةَ الْمُتَرف الْمُنعَّم ، الذى لمْ يكنْ بمكَّةَ كُلِّها مَنْ هو أَتْرَفُ منْه ، وقد صار حالُهُ إلى الدَّرجَة التى لا يُوجد له كَفَنٌ يُوارِى جَسَدَهُ .

لكنَّ الرسولَ ﷺ قالَ وهو يُخاطِبُ (مُصْعَب بْنَ عُمير) :

ـ لقدْ رَأَيْتُـكَ بـمكَّةَ ، وما بها أَرَقُّ حُلَّةً ولا أحْسَنُ لِـمَّةً منْكَ . ثـم هــأنتذا شَعْثُ الرَّأْسِ فى بُرْدَة .

وأَلْقَى عليْه نَـظْرَةً أَخيرَةً وهو يُوَدِّعُهُ وسائِرَ الشُّهَداءِ الذينَ فاقَ عدَدُهم السَّبْعينَ وقالَ :

ـ إنَّ رسولَ اللَّهِ يشهدُ أنَّكُمُ الشُّهَداءُ عِنْدَ اللَّهِ يوْمَ الْقِيامَة .

ثم تلا فى خُشُوعٍ قوْلَهُ تَعالَى :

ـ ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ومَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (الأحزاب ـ ٢٣)

ووارَى التُّرابُ جَسدَ (مُصْعَبِ بنِ عُمير) وأَصْحابه ، لكنَّهُ أَبَدًا لا يسْتطيعُ أَنْ يُوارِىَ مَبَادِئَهُمْ ولا قِيَمَهُمْ التى دَعَوا النَّاسَ إلَيْها واسْتُشْهِدوا منْ أَجْلها .

فها هِىَ ذى الْحياةُ وهى تَسْتَقْبِلُ قَرْنَهَا الْوَاحِدَ والْعِشْرينَ ، بِرَغْمِ مُنْجَزَاتِ الْعِلْم والحضارةِ والتَّقدُّم الْهائل ، تَحْتاجُ إلى وُجُودِ هَؤُلاء الرِّجالِ الذينَ مَلَئُوا الأَرْضَ نورًا وعَدْلاً ، وأَضاءوا الْحياةَ فكْرًا وحضَارةً .

أَلا فَلْينعَمْ (مُصْعَب) بِمَثْواهُ ، ولْيَهْنأْ بِـمَنْزلَته عنْد اللَّه ، فقدْ بذَلَ كلَّ ما يَمْلكُ فى سبيلِ اللَّهِ ورَسُوله ، ولَمْ يَبْخَلْ بِشَىْءٍ على الدَّعْوةِ إلى الإسْلام ، وانْقَلَبتْ حياتُه مِنَ النَّقيضِ إلى النَّقيضِ بعْدَ أَنْ دخلَ الإسْلامُ قَلْبَهُ .

وقدْ بدأ هذا التَّحوُّلُ وهذا الانْقلابُ فى حياته مُنْذُ سنٍّ مُبكِّرَة ، حيْثُ كان يسْتَخْدِمُ عقْلَه وتفكيرَهُ فيما يَدورُ حوْلَهُ مُنْذُ طفُولَته الْبَاكِرَة .

(تمَّـت)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠ : ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : ٤ ـ ٣٠٧ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧